رسائل النيل

الرسالة الرابعة الاقصر والكرنك

قل ما شئت في الديانة الوثنيّة من مدح او ذمّ واحكم بما شئت على كهانها وتعاليمهم وانظر الى اطلال هياكلها وفخامة مبانيها ودقة نقشها فلا تجد لك مندوحة عن الحكم بانها تسلّطت على العقول تسلطًا لا مثيل له في الاديان التي توالت على هذا القطر بعدها . ومن كان في ريب من ذلك فليقف في اطلال الاقصر والكرنك كما وقفنا بالامس وليملك نفسهُ عن الدهشة والانذهال اذا استطاع الى ذلك سبيلاً . ولا عجب اذا قال المتأخرون ان الجن لا الانس شادوا هذه المباني الفخيمة كما قال النابغة الذبياني

إلاّ سليمان اذ قال الاله له قم في البريّة واحددها عن الفَنَدِ
وخيّس الجنّ اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفّاح والعمدِ

لان الذي يرى بيوت السكّان الحقيرة اعتنادهم فيها على الطوب المجفف في الشمس والحجارة حولهم من كل ناحية يتعسّر عليهِ ان يصدّق ان اسلافهم بنوا تلك الهياكل العظيمة

وقد قابلنا الكرنك امس بُعيد الظهر فرأينا برجين شامخين يستدقان قليلاً في ارتفاعهما كانهما خافا ان تمور الارض تحت ثقلها فوسّعا قاعدتيهما لكي لا يتقلقلا. ووراءهما جدران كثيرة ومسلّة دقيقة تناطح السحاب . ثم التفتُّ بنا السفينة نحو ميناء فاذا نحن امام هيكل الاقصر البديع الاعمدة وحوله بيوت السكّان قامت بجانبهِ لتزيد عظمتهُ عظمة على حدّ ما قيل " وبضدها تتبين الاشياء " فنادى بنا الدليل ان استعدوا لزيارة الكرنك وانزل السروج من السفينة ووضعها على ظهر الركائب وذلك من جملة الوسائط التي اعدها الخواجه كوك صاحب هذه السفن لراحة المسافرين . فركبنا وسرنا سيرًا حثيثًا نحو الكرنك ومررنا في طريقنا على بقايا صفين من الاسود الرابضة وكان لكل منها رأس كرأس امرأة وعلى صدرهِ تمثال الملك امنهوتب الثالث وكان هذان الصفان ممتدين من هيكل الاقصر الى هيكل الكرنك ويعرف سطراهما قليلاً قبل الوصول الى هيكل الكرنك وهناك تبدل صورة رأس المرأة بصورة رأس حمل . فوصلنا اولاً الى باب عظيم بل برج منيع وقفنا عندهُ حيارى ولا نعلم سبب حيرتنا افخامة البناء الذي امامنا ام ارتفاعهُ الشاهق ام نقشهُ البديع ام صوَرهُ المحكمة ام صبر صانعهِ ام تعبُّد بانيهِ . وباني هذا الباب بطليموس يورجيتس احد البطالسة الذين حكموا مصر بعد الاسكندر المكدوني وعليهِ صورتهُ وصورة الملكة برنيكي وهما يقربان

القرايين لاسلافها . وامام هذا الباب هيكل صغير بناهُ الملك رعمسيس الثالث وعلى يساره هيكل اصغر منهُ بناهُ بورجيس الثاني وامام هذين الهيكلين هيكل الكرنك العظيم وهو على نحو خمس دقائق من هيكل رعمسيس الثالث

وصف هيكل الكرنك * يُدخَل الى هذا الهيكل من الجهة الشماليَّة الغربيَّة وهناك البرجان العظيمان اللذان رأيناهما ونحن من النيل قبل ان وصلنا الى الاقصر وطولها ٣٧٠ قدمًا انكليزيَّة وسمكها خمسون قدمًا وارتفاع احدهما ١٤٠ قدمًا وقد سقطت شرفاتهُ والثاني اقل منهُ ارتفاعًا لكثرة ما هُدم منهُ وجدرانهما سادجة لم تحت ولم تنقش كأنَّ الملك الذي اقامها مات قبل ان يتمها ولم يخلفهُ من اتمامها بعدهُ . ويدخل من الباب الذي بينهما الى دار فسيحة طولها ٣٢٩ قدمًا وعرضها ٢٧٥ قدمًا وكان في وسطها صنان من الاعمدة لم يبقَ منها قائمًا الاَّ واحد وعند الجدار الايمن والجدار الايسر صنان آخران الاَّ ان الجدار الايمن مخروق وبنتأ منهُ هيكل لرعمسيس الثالث بناهُ قبل المسيح بألف ومئتين سنة . وبقرب الجدار الايسر هيكل اصغر منهُ بناهُ الملك ستي الثاني . وقد بنى هذه الدار الملك شيشق احد ملوك الدولة الثانية والعشرين مضيفًا اياها الى الهيكل الاصلي . ويدخل منها الى دار ثانية وهي الدار العظيمة او دار الاعمدة طولها ٣٢٩ قدمًا وعرضها ١٧٠ قدمًا وفيها مئة واربعة وثلاثون عمودًا . اثنا عشر منها في الوسط قائمان في صفين امام الباب ارتفاع كل منهما ٦٣ قدمًا ما عدا قاعدتهُ وتاجهُ ومحيطهُ اربع وثلاثون قدمًا وثلاثة ارباع القدم وارتفاع كل من الاعمدة الباقية ٤٢ قدمًا ونصف قدم ومحيطهُ ٢٨ قدمًا . والمظنون ان باني هذه الدار هو الملك ستي الاول او رعمسيس الاول وعلى مدخلها برجان عظيمان امام مدخل الدار الاولى وامامها برجان اخران يوصل منهما الى دار مكشوفة فيها مسلتان كبيرتان احداهما وهي اليمنى لم تزل قائمة والاخرى مصروعة وطول كل منهما ٧٥ قدمًا وعليها كتابات من عهد تحمس الاول الى رعمسيس الثاني والمدة بين هذين الملكين ٢٥٠ سنة وامام هذه الدار باب رابع له برجان عن جانبيهِ ويدخل منهُ الى دار صغيرة فيها ١٤ عمودًا ومسلتان كبيرتان احداهما وهي اليسرى لم تزل قائمة وارتفاعها ٩٧ قدمًا ونصف قدم فهي اطول مسلة من المسلَّات المصريَّة ما عدا المسلة التي في رومية (فان ارتفاع هذه ١٠٥ اقدام ونصف قدم وقد نقلت الى رومية من المطريَّة) وهذه المسلَّات الاربع من المرمر الاحمر وقد اثرت النار فيها كلها ما عدا الثلث الاعلى من المسلتين الاخيرتين وقد كتب على واحدة منها انهُ اقتضى لقطعها من منالع اصوان ونقلها ونصبها في امكانها

سبعة اشهر فقط

وامام هاتين المسلتين باب له برجان صغيران يدخل منهُ الى دار صغيرة على جانبها قاعتان معمّدتان وامامها باب آخر له برجان عليهما اسماء الف ومئتي بلد وامامهُ باب آخر من المرمر الاحمر يدخل منهُ الى الهيكل الاصلي وهو قسمان كبيران حولها غرف صغيرة وفيهِ اعمدة موشوريّة كثيرة السطوح عليها اسم الملك اوسرتسن الاول وهو من ملوك الدولة الثانية عشرة. ووراء هذا الهيكل دار فسيحة مكشوفة فيها قاعدتان كبيرتان كأنهما قاعدتا تمثالين. ويوصل من هذه الدار الى هيكل آخر بناهُ الملك تحمس الثالث فيهِ غرف كثيرة الاعمدة وعلى بعض اعمدتها صور مسيحيّة كأن الاهالي استخدموها كنيسة في عصر من العصور القريبة

وطول هذا الهيكل كلهِ من باب الدار الاولى الى نهايتهِ الف ومئة وثمانون قدماً وقد تعاقب على بنائهِ ملوك كثيرون من ايام الدولة الثانية عشرة الى اواخر ايام البطالسة وحرقهُ الفرس لما ملكوا مصر ولم تزل آثار النار فيهِ وفي كل الهياكل المجاورة ثم جُدّد بناؤهُ وبقي قائمًا الى ان تغلّبت الديانة المسيحيّة على الديانة الوثنيّة فخرّبت معابدها وكسرت اصنامها بامر الامبراطور ثيودوسيوس الثاني

وصف رسم الهيكل * ترى في الشكل الاول صورة هيكل الكرنك كما لو قطع من قاعدتهِ فعند الحرفين ق ق البرجان الاولان وقد بناهما البطالسة وداخلهما الدار الفسيحة التي بناها الملك شيشق وعلى يمينها ويسارها صفا الاعمدة وعليها رواق وعلى الجانب الايسر حيث الحرف ر هيكل الملك ستي الثاني وعلى الجانب الايمن حيث الحرف ك هيكل الملك رعمسيس الثالث وفي وسط الدار اعمدة وجدران من ايام الدولة الثانية والعشرين والباب الذي امامها عليهِ البرجان غ غ وقد بناهما رعمسيس الاول ويدخل منهُ الى دار الاعمدة التي بناها ستي الاول وابنهُ رعمسيس الثاني ومنها الى باب عليهِ برجان (ف ف) بناها الملك اسوفس الثالث وامامهُ دار تحمس الاول وفيها المسلتان الصغيرتان وبلي ذلك برجان بناها تحمس الاول ثم الدار المعمدة التي فيها المسلتان الكبيرتان والباب الذي بعدها والهيكل الى حد الحرف ا بناهُ تحمس الاول والملوك الذين قبلهُ. والابنية التي خلف ذلك بناها تحمس الثالث

ولا نعلم بالتحقيق من شرع في بناء هذا الهيكل اولاً ولكن قد وجد عليهِ اسم اسرتسن الاول الذي كان قبل المسيح بنحو ٢٤٠٠ سنة ومن ايامهِ الى ايام الاسكندر الثاني الذي حكم سنة

٨١ قبل المسيح افرغ ملوك مصر جهدهم في توسيع هذا الهيكل وتزيينهِ فبقي البناء فيهِ مدة ٢٣٠٠ سنة

نقوشهُ وكتاباتهُ ٭ على جدار دار الاعمدة حيث الحرف ب صورة معارك الملك ستي

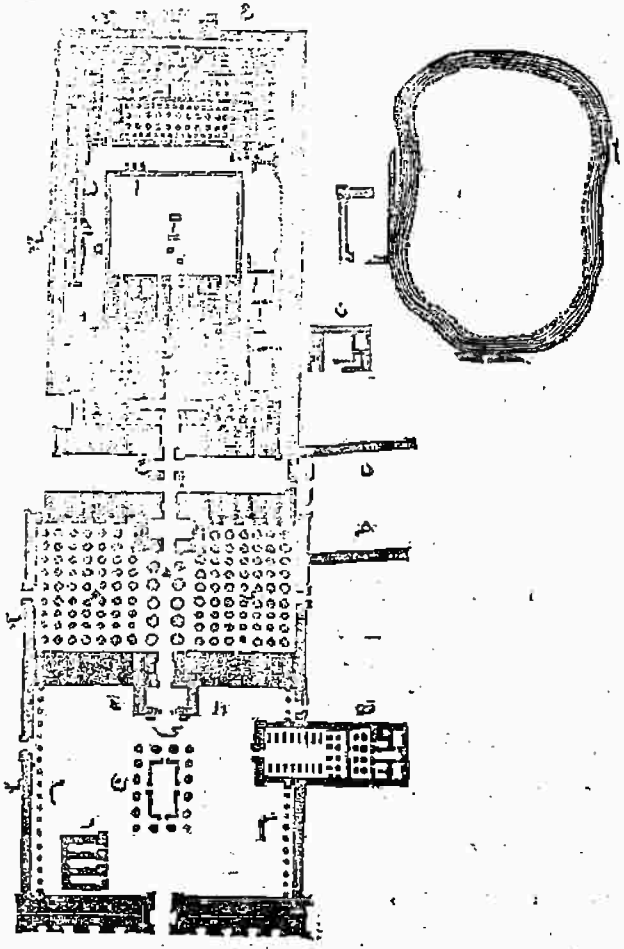

الشكل الاول

الاول في المشرق وهناك صورتهُ وقد قدَّد الحصار على قلعة حصينة مبنيَّة على صخر شاهق تحيط بهِ الحراج وصورتهُ ايضاً وقد ناجز مقاة الاعداء وجرح رئيسهم ثم قتلهُ وبعد ذلك نزل عن مركبتهِ وتحارب مع رؤساء الاعداء يداً بيدٍ فسقط واحد منهم تحت قدميهِ فداس

عليهِ وامسك بخناق الثاني وكاد يصرعهُ . ثم صورتهُ وقد تغلّب على الاعداء وعاد عنهم بالاسرى والغنائم وقدّم الاسرى والغنائم لمعبودهِ امن را اله طيبة و بين الغنائم آنية من الذهب والفضة واشياء اخرى ثمينة وتحت ذلك صورة معركة بين الجنود المصريّة ومركبات الاعداء ومشاتهم وقد رشق الملك متي رئيس الاعداء بحربة فاصابتهُ ثم تبعهُ وطعن فرسًا من فرسيهِ برمحٍ وحاول ان ينزل اليهِ . وقد دبّ الذعر بعساكر الاعداء وانهزمت شرّ هزيمة . ثم صورتهُ وقد رجع بالغنائم ودخل هيكل معبودهِ امن را وقتل الاسرى في حضرتهِ كما ترى في الشكل الثاني وهي صورة ابيهِ يقتل الاسرى امام آمن را

الشكل الثاني

وعند الزاوية الشماليّة الشرقيّة صورة معركة اخرى بين المصريين وشعب آخر من شعوب اسيا وقد تغلّب المصريون على هذا الشعب وعادوا بالاسرى والغنائم ولقوا في طريقهم مدينة حصينة اسمها كانا فاخضعوها ولعلها بلاد كنعان ويلي ذلك صور البلدان الكثيرة التي مرّ عليها في طريقهِ الى ان وصل الى مصر فلقيهُ اهلها باجتفال عظيم يتقدمهم الكهنة والعظماء فترجّل ومشى معهم ليقدم الاسرى والغنائم الى معبودهِ . وفوق ذلك صورة موقعة أُخرى ويُرى فيها الاعداء قد فروا من وجه المصريين والجأوا الى حصن حصين وامسك ملك مصر رئيس الاعداء وقطع رأسهُ وامسكهُ بلحيتهِ ثم اقتفى

آثار الاعداء فهربوا من وجهه ولجأوا الى الاشجار العالية التي في جبالهم واختبأوا بها فبعث اليهم مناديًا ينادي بهم ليستسلموا له فيسلموا ويسمّى هذا المكان بالقلم المصري المانون والمظنون انه لبنان لان الباء قد تبدل ميمًا

وعلى الجدار الجنوبي من جهة الغرب صورة الملك شيشق او شيشنق في غزوته لفلسطين ووراءه صورة ١٥٠ رجلاً وقد برزت رؤوسهم من فوق تروسهم وعلى الترس التاسع والعشرين كلمة يهوذا ملك فقرأها المسيو شمليون ملك يهوذا . ولكن المسيو برغش قال ان الكلمة اسم بلد من بلدان فلسطين . وبالسير امام هذا الجدار شرقًا تصل الى جدار آخر قائم عليه كما في الشكل الاول وهنالك صورة المعاهدة التي عقدت بين رعمسيس الثاني وبين حتاسيرا ملك الحيثيين وتبتدئ هذه المعاهدة هكذا

في السنة الحادية والعشرين في شهر طيبي في الحادي والعشرين من الشهر في ملك الملك رعمسوميا مُن واهب الحياة الى الابد المتعبد لمعبودات آمن را وهرماخو وفتاح ومُت سيدة بجيرة اشر وخنسو محب السلام جالس هورس على عرشه علانية بين الاحياء كاييه هرماخو في الازليّة الى الابد

في ذلك اليوم كان الملك في مدينة رعمسيس يتقرّب قرابين السلامة الى ابيه آمن را وآلهة هرماخوتم . . . لكي يمنحوه مواسم تعود كل ثلاثين سنة وسنين هبتّة لاتحصى ويخضعوا كل الامم تحت قدميه الى الابد فاتى وفد من قبل ملك حتا العظيم حتاسيرا انوا الى فرعون لكي يطلبوا صداقة رعمسيس الواهب الحياة الازليّة الى الابد كما يهبها ابوه اله الشمس

صورة المعاهدة في الالواح الفضيّة التي صنعها ملك حتا العظيم حتاسيرا وقدّمت لفرعون عن يدي سفيره ترتسو وسفيره رامس لطلب صداقة الملك رعمسيس الثور بين الملوك الذي يضع حدود مملكته حيثما اراد في كل البلدان

المعاهدة التي اقترحها ملك حتا العظيم حتاسيرا القادر ابن ماور سيرا القادر حنيد سباليل ملك حتا العظيم القادر على لوح الفضة لدى رعمسو ميامن ملك مصر العظيم القادر ابن منفتاح سني ملك مصر العظيم القادر حنيد رعمسو الاول ملك مصر العظيم القادر معاهدة صداقة ومحالفة تقضي بالسلم الى زمن طويل لم يكن زمن سلم مثله من قبل لان ملك مصر العظيم وملك حتا العظيم قد اتفقا على ان الله لا يسمح بذات البين بينهما

فانه في عصر موتال ملك حتا العظيم اخي انتشبت الحرب بينه وبين ملك مصر

العظيم ولكن الآن من هذا اليوم فصاعدًا ينظر حتا سيرا ملك حتا العظيم الى هذه المعاهدة لكي يبقى الوئام الذي صنعه الاله را والاله سوتخ لاهل مصر واهل حتا لكي لا يبقى بينهم عداوة الى الابد فقد تعاهد حتا سيرا ملك حتا مع رعمسو ميامن ملك مصر من هذا اليوم فصاعدًا انه يكون بينهما صداقة وموالفة دائمًا هو يكون حليفي وصديقي وانا اكون حليفه وصديقه الى الابد

فانه بعد ان قتل موتال ملك حتا العظيم انتصب حتا سيرا اخوهُ على سرير الملك بعدهُ وطلبتْ صداقة رعمسو ميامن ملك مصر العظيم . واني ارغب في ان تكون الصداقة والوئام بيننا افضل من الصداقة والوئام اللذين كانا قبلاً وأبطلا . فانا ملك حتا العظيم اتفق مع ملك مصر بصداقة تامة ووئام وابناء ابناء ملك حتا يتصادقون مع ابناء ابناء رعمسو ميامن ملك مصر العظيم " ثم يذكر الكاتب تفصيل بنود المعاهدة بندًا بندًا وتحالف الملكين على الهجوم والدفاع

وعلى الجانب الآخر من الجدار صورة القصيدة الشهيرة التي نظمها الشاعر بنتور لرعمسيس الثاني لما عاد فائزًا على الحثيين وقد قال فيها ان الملك رعمسيس وقف كأنه اله الشمس وهجم على جيوش الاعداء وحدهُ فشخصت اليهِ الابصار واحدق بهِ الاعداء بخيلهم ورجلهم ومعهم الفان وخمس مئة مركبة وفي كل مركبة ثلاثة من الابطال واشتد زحامهم عليهِ وهم متحالفون كالاخوة فصرخ الملك قائلاً ألم يبقَ معي امير ألم يبقَ معي قائد الم يبقَ معي رام الم يبقَ احد ليقود فرسي مركبتي أهرب رجالي كلهم ولم يتخلف احد منهم بجانبي ثم رفع طلبتهُ بالصلاة قائلاً يا ابي امون العظيم قد عرفتك وهل ينسى الاب ابنهُ هل نسيتك في ضيقي وهل فعلت شيئًا بغير رضاك اوقمت او قعدت بغير امرك اني عظيم وملوك مصر مقتدرون ولكنهم امام قدرتك صغار كرؤوساء قبيلة من القبائل الرحّل . ايها الاله المرمدي اسحق هؤلاء الانجاس دقّ رقابهم واستأصل الاشرار . الخ . وهي طويلة يذكر فيها اقبال الاله امون لمعونة رعمسيس وضربهُ جنود الحثيين والتغلب عليهم . وبضيق بنا المقام اذا اردنا وصف بقيّة الصور والنقوش التي على هذا الهيكل فانها تملأ مجلدًا كبيرًا وسنثبتها كلها في فرصة أخرى

وزرت في رجوعي هيكل الاقصر الذي ترى رسمهُ في الشكل الثالث ووقفت امام مسلتهِ البديعة حيث الحرف م وهي اجمل مسلة مصريّة وقعت عليها عيني ارتفاعها ٨٤ قدمًا انكليزيّة وسطوحها مغطاة بالنقوش الفائقة وعليها اسم رعمسيس الثاني والقابهُ وكان لها اخت

فرّق الدهر بينهما ونقلت الى مدينة باريس. وبجانب المسلة تمثالان عظيمان من المرمر الازرق لرعمسيس الثاني وها مهشمان وتمثال ثالث كشف حديثًا عند الزاوية الشرقية وقد نجا من التهشم بانطماره في التراب وهو من المرمر الاحمر وعلى الباب برجان عظيمان جدًّا جدرانهما مغطاة بالنقوش وصور مصامع القتال والغنائم الكثيرة من الخيل والمركبات وهناك مركبة الملك مظلّلة بالمظال ويدخل منه الى دار فسيحة طولها مئتا

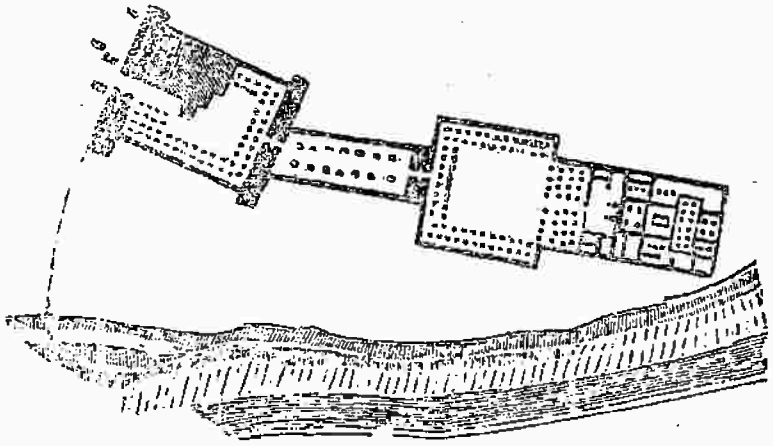

الشكل الثالث

قدم في مثلها عرضًا يحيط بها من الداخل ٧٨ عمودًا في صفين (وعند الباب بلا صفوف) وبين كل عمودين من الصف المتقدم تمثال عظيم لرعمسيس الثاني وهذه التماثيل مهشمة ايضًا . وفي صدر الدار باب ثانٍ على برجان عظيمان ويدخل منه الى دار أُخرى طويلة ضيقة فيها صفان من الاعمدة كلّ منهما سبعة فقط ويوصل منها الى دار أُخرى مربعة يتصل بها دار اصغر منها وفيهما كلتيهما ٩٦ عمودًا . وداخل هذه الدار غرف كثيرة مغطاة بالنقوش بعضها معمّد وبعضها غير معمّد وقد بني هذا الهيكل في عهد امنوفس الثالث وإتمّه ابنه الاول ورعمسيس الثاني وكان اكثره مردومًا بالتراب والبيوت فكشفت الحكومة اكثر انقاضه وسندت البعض الآخر كي لا ينقض ولم تزل تكشف ما بقي منه